

## ثمرة نفع وخدمة الناس



الخدمة العامة وقضاء الحاجات الضرورية هي لحفظ حياة الإنسان وتأمين رفاهيته والتي يجب توفيرها لعامة أفراد المجتمع، والالتزام في منهج بغية توفيرها والرفع من المستوى المعيشي، وتلبية هذه الخدمات تعتمد على المجتمع، وهي ليست مرتبطة بزمن معين، بل هي عملية دائمة مستمرة.

من النعم الإلهية الكبرى أن يوفّق الإنسان للقيام بخدمة أو معروف اتجاه إخوانه، لأنّه لو اطلع على ما أعدّه الله تعالى له من عطاء أبيدي لا ينفذ لأدرك أنّ الأمر بالعكس يعني أنّ المحتاج والمخدوم هو الذي يسدي خدمة للخادم والبادل لأنّه السبب في حصوله على هذه الهمة الربانية، وعليه ليس من الصواب أن تُتاح فرصة لأحدنا كي يقوم بتقديم مساعدة لآخرين وقضاء حوائجهم فيفوّت تلك الفرصة، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ حَاجَةً كَانَ كَمَنْ خَدَمَ اللَّهَ تَعَالَى عَمْرَهُ».

جاءت الشريعة الإسلامية ساعيةً لتعزيز القيم والأخلاق الحميدة المختلفة في نفوس الناس، ومصداقٌ على أنّ من الغايات السامية من إرسال الرّسل والأنبياء (عليهم السلام) تعزيز الأخلاق الحسنة، ما روى عن النبي ﷺ (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: «إِذْمَا بُعْثِتُ لِأَتَمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، ومن أهم هذه الأخلاق الحسنة التي يبحث عنها الإسلام وهو نفع الناس وتقديم الخدمة لهم، قال رسول الله ﷺ (صلّى الله عليه وآله وسلم): «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»، المسلم مدعو لكى يساعد أخوه المسلم، ويقف منه موقف الصديق كما في قوله سبحانه وتعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ) (التوبية/ 71). إنّ أشرف عباد الله تعالى وأحبابهم إليه من كان أكثر نفعاً لعباده الآخرين، ويكون نفعه لهم بما يسديه إليهم من معروفٍ وما يقدّمه لهم من نفعٍ، وما يسعى في قضاء حوائجهم، والتخفيف عنهم، والوقوف معهم، وعونهم، فمن كان حريصاً على كلّ ذلك كان من خير الناس وأحبابهم إلى الله تعالى. ولثمرة نفع الناس ومعاونتهم جاءت كثيرٌ من النصوص القرآنية الحاثة على التعااضد والتآخي وإسداء المعروف، ومددّ يد العون لمن يحتاج، ومن ذلك قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَأْتِيَنَّهُمْ فَهُمْ لَا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضُوا إِذَا

حَلَّتْ دُمٌ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجِدُونَ كُمْ شَدَّانٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ أَنْ تَعْذَدُوا وَتَعَاوَزُوا عَلَى الْبَيْرِ وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَزُوا عَلَى  
الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (المائدة/ 2).

كما ولنفع الآخرين ومعونتهم ثمراتٍ وآثارٍ تعود على الفرد بوجهٍ خاصٍ وعلى المجتمع كله بوجهٍ عامٍ، ومن هذه الثمرات والآثار: إشاعة الألفة والمحبة بين الناس. إزالة أسباب التحاسد وبواعث الحقد والبغضاء من نفوس الناس. تحقيق معايير الأخوة الإسلامية والإنسانية. تحصيل حمد الله تعالى، والفوز برضوانه وجنته. وإنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يكون مع العبد الذي يخدم عباده الآخرين ويعينهم، فينصره ويسدّد ويعينه، ويقف معه في كلِّ موقفٍ. وقد جاء الحديث الشريف مؤكداً أنَّ عون العبد لأخيه تقابله معاونة الله تعالى له، وتفریج العبد لكربة أخيه يقابله تفریج الله تعالى لكربته يوم القيمة، وتيسير العبد على غيره في شأنِ من شؤونهم يوازيه تيسيره من الله تعالى لأمور العبد في الدنيا والآخرة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ اللَّهُ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَةِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ فَرَّجَ كُرْبَةً فِي عَوْنَ أَخْيَهِ.. وَالْكَرْبَةُ: الْحَزَنُ وَالْهُمَّ وَالضيق، وَعُونُ الْعَبْدِ لِأَخْيَهِ يَكُونُ بِالْمَالِ وَالْعِلْمِ وَالنُّصْحِ وَالْمُشُورَةِ وَغَيْرَهَا مِنْ وِجْهِ الْعُوْنَ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ؛ فَمَنْ أَعْنَى بِعُونِ أَخْيَهِ، وَمَنْ سَتَرَ غَيْرَهِ يُكَافَأُ بِسَتْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، وَمَنْ فَرَّجَ كُرْبَةً يُجَازِي بِتَفْرِيجِ كَرْبَتِهِ، وَمَنْ يَسَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَيْرَهِ يُسَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أُمورِهِ وَشُؤُونِهِ.

وتبقى قاعدة جلب الخير ودفع الشر هي المحك والمقياس لكلِّ فعل أخلاقي إسلامي تستمد منها الروح الإسلامية إيجابيتها الدينية والدنيوية والأخلاقية والأدبية وغيرها. قال تعالى في أهل الخيرية والإيجابية التي هي أصل كلِّ حراك إنساني اعتقاداً وفكراً وسلوكاً وواقعاً ملمساً: (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُونُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا وَنَعَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران/ 114). وقال تعالى في ورثة الخيرية والإيجابية: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْهُمْ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَنْهُمْ سَابِقُ  
بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر/ 32).